مفارقات التغيير «1-2»

عبدالملك السلال

■ لا يكون التغيير حقيقيا إن لم يغير نظرة وعقلية وعي البشر وشروط حياتهم الفعلية - الواقعية - في المجتمع ولا يكون التغيير حقيقا ، إن تم بمعزل عن البشر ودون إرادتهم أو رغما عنهم ، أو حمّل عبئه قلة - منهم - تفرضه عليهم بحجج خدمة مصالحهم أو جسر الهوة بين وعيهم وبين ما يجب أن يكون عليه موقفهم من الأمور أو الدفاع عن مصالحهم نيابة عنهم إلى أن يتمكنوا من التعرف إليها وحمل أعبائها بأنفسهم.

وفي النظريات الانتفاعية يَفرضُ التَغييريونَ غير الأصليون - ممن يمتطون موجة هذه الموجة - يفرضون أنفسهم كثيرا على هذا الواقع ، وسرعان ما يجافون حقائقه ومتطلباته الشرعية فيحرفونه عن مساراته المرسومة - حتى وإن تم استغلال ضرورة التغيير كعامل يضفي الشرعية على مقولاتهم وأن لم تتعرف على متطلبات التغيير وتقييّم مستلزماته في وعي الناس وضمن حاضنتهم المجتمعية.

بعبارة أخرى، أي تغيير ليس مرشحا للنجاح وإن بدا أن الواقع يتطلبه ، فالتغيير ليس فعلا ابتدائيا يطلقه الإنسان فيتواصل بقوة حركته الذاتية وإرادة التغييرين. وفعل التغيير لا يمكن نقله أو استنساخه من الخارج إلى الناس أو فرضه عليهم ، وذلك لانتفاء الظروف الموضوعية المختلفة من دولة إلى أخرى بكل ما تحمله من خصائص متنوعة تميزُ مجتمع عن مثليه ؛ وفي المحصلة فإن نقل التغيير أو استنساخ تجاربه المقلوبة - لا يتوافق مع المجتمعات التي تمارس الديمقراطية - نهجا وإرادة - (تجريب المجرب خطأ).

إن التغيير لا ينجح مالم يكن فعلا إنسانيا مباشرا ؛ متواصلاً وطليقا يحمله البشر بمحضِ إرادتهم ويتكفلون بتواصله ؛ فهو إذن تغيير بدلالة الناس لا تنجزه نخبة أو قلة أو طليعة مهّما أوتيت من علم وقوة ؛ فهو لن تكتب له الديمومة إذا اقتصرت أسسه على إحدى البنيتين - الفوقية أو التحتية -أو أدى إلى قيام علاقة غير صحيحة بينهما ؛ أو احدث اختلالا في بنية الواقع والمجتمع ككل من خلال تبدل يمسُ هذاً الاتجاه من اتجاهاته دون ذاك ؛ علماً بأن التغيير يبدأ من عقول ونفوس تعي واقعها جيداً ويفضي بالمثل إلى عقول ونفوس حملته.

للأسف الشديد إن مايجري من مصادرة لحقوق الشباب والمتاجرة بدمائهم على يد أحزاب اللقاء المشترك أمر مؤسف للغاية قد أفضى بدوره انحرافها عن مسارها السلمي الذي مافتى الشباب في الساحات يؤكدون دوما على الطابع السلمي لاعتصامهم ويعلنون براءتهم التامة من تورط بعض هذه الأحزاب في تأجيج أعمال العنف واهراق دماء اليمنيين دون حساب.. حتى بات المشهد اليمني – مادة إثارة دسمة لفضائيات محلية وأخرى عربية – سقطت في مستنقع غياب المهنية والموضوعية والحياد اللازم – حتى بدت على قول الكثيرين – وكأن هذه القنوات – بتحريضها الواضح تصب الزيت على النار غير عابئة بدماء وأرواح أبناء الشعب اليمني.

اليمن وطننا جميعاً نعيش تحت سمائه ونفترش أرضه ومسؤوليتنا ان نصونه ونحافظ عليه ونحميه ونعمل على تجنيبه المخاطر والمحن لا ان نعمل على جر أبنائه إلى الصراعات والفوضى.. من أجل ذلك على العقلاء فيه إعادة قراءة إلى أين نسير بالوطن في هذه الاصطفافات التدميرية؟! أو إدراك أن الكارثة عندما تحل لن تستثني أحدا ولن ينجو منها أحد ومن يعتقد غير ذلك فهو واهم ولا يرى الأمر كما يفترض أن يُرى.. لهذا على العقلاء في أي مكان من أرض الوطن أن تعلو أصواتهم وتطغى على كل ضجيج يحاول أن يقذف بالجميع إلى الهاوية.

نسأل الله السلامة لليمن ونتمنى أن تكون المبادرة الخليجية مخرجا لهذه الأزمة التي تسببت لليمنيين بالأرق والشعور بالخوف من الانزلاق إلى حرب أهلية ، ونكن كل الاحترام للشباب الذين نعتبر مطالبهم حقيقية لامست المعاناة التي يعيشونها.

Ssalala99@gmail.com

أستاذة الإعلام

عبدالقوي العديني

□.. اختارت المتاعب طريقاً وقدراً؛ لم يكن ذلك عبثاً... بل كان لتنمية المعرفة ولقيادة الفكر السياسي والثقافي إلى مواقع الذكاء؛ بواسطة الإعلام، كشريك فاعل وأساسي لتنمية المجتمعات.. وقد حققت برؤيتها للوطن الكثير.. بكل اللغات كانت مميزة بين الجميع، في المؤتمرات، في المحافل، في قاعة المحاضرات.. تشتد إليها الأعناق، ويخيم الصمت.. ويزداد الاهتمام وينتعش المكان، وما الغريب في ذلك فعلى الجميع أن يصمت، فالتي تتكلم هي الدكتورة القديرة رؤوفة حسن أستاذة الإعلام ورائدة التنمية الثقافية ومن كرست وقتها ونشاطها لحفظ الموروث الثقافي للوطن اليمني.

على الدوام، كانت الرقم المدهش والمؤثر.. الرقم القادر على أخذ كل من حوله نحو التغيير والى كل ماهو خلاق ومثمر؛ وكلية الإعلام بجامعة صنعاء ستظل تقترن برؤوفة حسن، وفي ذاكرة كل الصحفيين والإعلاميين كمؤسسة لقسم الإعلام، وكأستاذة قديرة تخرج على يديها مئات الصحفيين.. وأشعر بالاعتزاز لأني كنت واحدا من خريجي مدرستها، أستاذتنا الفاضلة.. سنفتقدك كما سيفتقدك اليمن الجديد الذي يتشكل اليوم وكان بأمس الحاجة إلى أعمالك.

ما أقسى أن نقول كانت..

لكن حب الناس لها والأعمال الخالدة التي تركتها، ستبقى عزاء الساحة الإعلامية والأدبية؛ فهي التي سطرت حياتها بصمات وإضافات جديدة وخلاقة، وخدمت مجتمعها وأضاءت الحياة بمعرفتهاوقدراتها..

أثق بأن نقابة الصحفيين ستقوم بما يليق بالإعلامية الأولى في اليمن.. وأن جامعة صنعاء ستسمع الجميع أخبارا جيدة، لما يكرم أكاديمية بحجم رؤوفة حسن.. ويقدر امرأة تركت في أعماق الذاكرة الإعلامية والاجتماعية الكثير من الأعمال والمواقف التي أثرت حياتنا وأثرت في تحريك مايمكن تحريكه لخدمة التنمية في اليمن؛ لقد ساهمت أستاذة التغيير في اليمن بالكلمات وفنون الصحافة؛ كلغة مهدت الطريق وتجاوزت العقبات واخترقت الحواجز وليبلغ الشعب سدرة الحكم بنظام برلماني نزيه وعادل.

إن الخسارة الفادحة برحيلك المفاجئ وعزاؤنا انك تظلين ملء القلوب والعقول وفي ذاكرة الأجيال عظيمة وملهمة ورائدة.

الاستفتاء الشعبي أبو الحلول

عبدالحميد سيف الزوقري

هو إجراء سياسي/ قانوني لأخذ رأي الشعب في قضية ما من خلال التصويت مع أو ضد القضية المطروحة، ومن أهم القضايا التي تطرح للاستفتاء اعتماد أو تعديل الدستور.

يعاب على عمليات الاستفتاء أنها تحصر الناخبين بين اختيارين: إما القبول أو الرفض للقضية المستفتى حولها، والتي قد تكون قضية معقدة يصعب على الناخب العادي فهمها، ومن ثم إبداء رأي حقيقي حولها، فعلى سبيل المثال حين يُطلب من الناخبين الاستفتاء على دستور يحوي المئات من البنود والفقرات ذات الصيغ التقنية التي لا يفهمها إلا المختصون، يكون من غير المنطقي توقع اتخاذ المواطن العادي لقرار سليم حولها، إضافة إلى ذلك فإن عمليات الاستفتاء لا توفر للناخبين إمكانية تعديل أو حذف أو إضافة أي بنود في المادة أو الموضوع المطروح للاستفتاء، فإذا كان هذا الموضوع دستوراً مثلاً فإن المطلوب من المشاركين في الاستفتاء هو التعبير عن قبول الدستور المقترح أو المعدَّل برمته أو رفضه برمّته، ودلّت الخبرة التاريخية أن عمليات الاستفتاء قد تم إساءة استخدامها من قِبل الحكام المستبدين، فقد نجح هؤلاء كثيراً في الحصول على تأييد المستفتين لقضايا تخدم مصلحة الحاكم وتتنافى مع مصالح المستفتين أنفسهم ويتم ذلك من خلال حيل، صارت معروفة من مثل وضع عبارات غامضة تحمل أكثر من معنى في متن الموضوع المستفتى عليه، ودس مواد وفقرات تخدم مصلحة الحاكم ضمن مواد يطالب بها الجمهور، ومن أمثلة ذلك ما قام به الرئيس المصري الراحل (أنور السادات) قبل اغتياله بفترة وجيزة، حينما طرح استفتاء على تعديل الدستور كان الهدف الحقيقي من إجرائه هو إلغاء مادة دستورية تمنع رئيس الجمهورية من ترشيح نفسه لأكثر من دورتين، ومن أجل إلغاء تلك المادة ثم الاستفتاء على تعديلات غيرها تتفق ورغبة الكثير من الناخبين منها: إلغاء حالة الطوارئ، وجعل الشريعة الإسلامية مصدراً أساسياً من مصادر التشريع.

وغالباً فإن عملية الاستفتاء في النُظم الاستبدادية لا تعدو أن تكون مظهراً مخادعاً يعطي موافقة شعبية زائفة على قرار يريده الحاكم ويخدم مصلحته، ففي مثل هذه النظم تجري عملية الاستفتاء وفق ظروف يخلقها الحاكم بما يتوافق وأهدافه، فهو نفسه الذي يحدد موضوع الاستفتاء وتوقيته دون استشارة القوى السياسية الأخرى، ويقوم بتسخير أجهزة الدولة المختلفة لصالح النتيجة التي يتوخاها، وضمن ذلك تقود أجهزة الإعلام الرسمي حملة دعائية ضخمة لصالح موضوع الاستفتاء والنتيجة المطلوبة منه مدعية ضرورة تلك النتيجة للصالح العام، وإلى جانب ذلك فإن عمليات الاستفتاء في النُظم الاستبدادية تجري في ظل غياب أي شكل من أشكال الشفافية على العملية برّمتها مما يسهل عمليات التزوير، وفي المحصلة النهائية تبقى هذه العملية في ظل الأنظمة الاستبدادية مجرد لعبة من ألعاب التضليل والخداع.

أما في المجتمعات الديمقراطية فإن عمليات الاستفتاء يتم طرحها في أجواء من النقاش الحر والعلني بين المؤيدين والمعارضين للقضية المطروحة، وعبر وسائل الإعلام المختلفة، فيكون رأي المواطنين بعد ذلك مقياساً حقيقياً لما يريدونه.

ومن الممكن قياس صدقية عملية الاستفتاء من خلال شكل النتيجة التي تسفر عنها، فكلما كان الفرق بين المؤيدين والمعارضين للقضية المطروحة ضئيلاً كلما كان ذلك دليلاً على صدقية العملية، أما في حال كانت النتيجة تفوق ٩٠٪ لصالح أحد الرأيين فإن ذلك يمكن أن يكون دليلاً على زيف العملية.

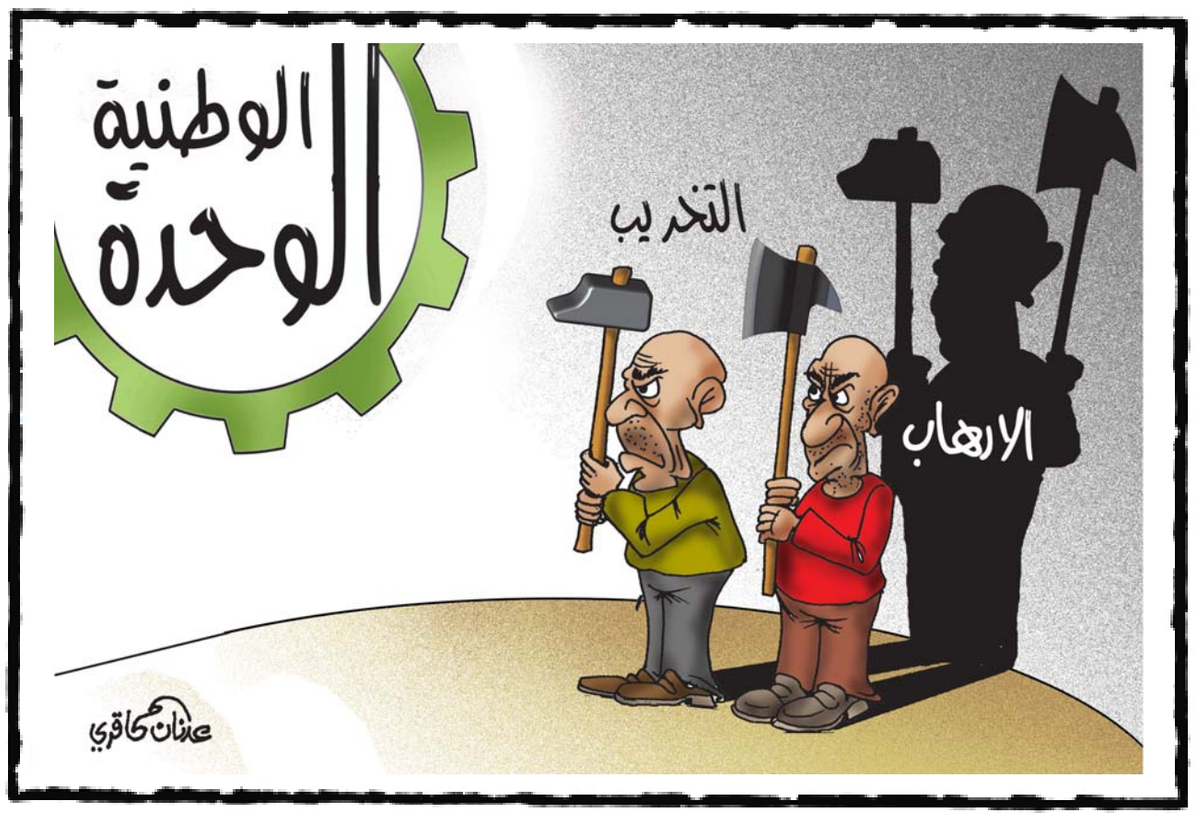

واأسفاااااه على حكمتنا !!

فيصل الشبيبي

□.. (الحكمة اليمانية) .. شهادةٌ لطالما ظللنا نتباهى ونفخر بها على مدى قرونٍ خلت وجعلنا منها وساماً على صدورنا ، لأن من نطق بها هو أشرف خلق الله أجمعين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، إلاّ أن من ينظر إلى المشهد السياسي الراهن في بلدنا وما يعتمل فيه من إرهاصاتٍ وتجاذباتٍ وتقلّباتٍ في المفاهيم وتداخلٍ في الرؤى وخلط للأوراق ، وتصارع المصالح وتقاطعاتها ، لا يمتلك إلاّ أن يُصاب بالحسرة والكمد على ما آلت إليه الأوضاع ، وكيف انحدرت الأمور بهذه الصورة المخيفة؟ لذلك فلا غرابة أن نحتار ونحيّرَ الآخرين في أمرنا ونحن نخوض وسط الأمواج المتلاطمة دون أن نعرف المرسى الذي سنصل إليه ، ونسقط حساباتنا الشخصية ومصالحنا الضيقة على الوطن برمته.

ثلاثة أشهر من التنافر والتصعيد والتعطيل لمعظم مؤسسات الوطن وتبادل الاتهامات والتشهير بالرموز الوطنية من قبل المتهورين في الطرفين ، دون النظر إلى العواقب الوخيمة والتداعيات الخطيرة لتلك الأعمال التي يستنكرها الجميع ودورها في إيغار الصدور ورفع وتيرة الاحتقان ، فهل كل ذلك من الحكمة اليمانية؟ أم أنها أساليب دخيلة على المجتمع ولا تمت لقيمه وعاداته بصلة؟

أيها السياسيون: لا أخفيكم أن الحيرة في ما جرى ويجري قد أضحت العنوان الأبرز لهذه المرحلة القاتمة من تاريخنا ، فلماذا الإصرار والتخندق خلف المواقف بهذا الشكل غير المسبوق؟ وكأنَّ الخيارات السياسية قد انعدمت وغابت من قواميسكم..

نعم حيرتمونا .. عندما أوصدتم أبواب الحلول بوجه كل المبادرات ، حتى التي تقدمتم بها أنتم رفضتموها وجعلتم من العناد والمكابرة خياراً لا رجعة عنه وأنتم من ظل يردد قوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) والقاعدة الفقهية (درءُ المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح).

حيرتمونا وجعلتمونا نخشى على حكمتنا .. عندما ظللتم سنين ترددون حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم (السلطانُ ظلُّ الله في أرضه ، من أكرمهُ أكرمهُ الله ومن أهانهُ أهانهُ الله) واليوم هاهو وليُّ أمرنا جميعاً يتعرض للشتم والسب والإهانة والتجريح بأقذع الألفاظ وأردأ العبارات ويُصورُ بأسوأ الصور دون أن تحركوا ساكناً أو تردعوا طائشاً بل إن ذلك يحدث بمباركة الكثير منكم فما الذي حدث حتى تتحولون بهذه الصورة؟

حيرتمونا .. عندما تتحدثون عن انعدام الحرية وانتم تشتمون وتسبون وتصدحون فلم نعد نعرف عن أي حرية تبحثون وهل هناك صنفٌ آخر من أصناف الحرية التي يعرفها الآخرون ولم تعرفوها انتم؟ أفيدونا أثابكم الله.

حيرتمونا : فبمجرد أن نذكر أسماءكم ذِكراً ونستشهدَ بخطاباتكم أو مقولاتٍ مشهورةٍ لكم تُقيمون الدنيا ولا تقعدونها وتتهمونا بالتطاول على العلماء والهامات الوطنية ، لكن أن تقولوا في الآخرين ما يحلو لكم وخارج إطار الأعراف السياسية فذلك أمرٌ مباحٌ حتى وإن تجاوز كل الحدود.

أيُّها السياسيون: قبل أن نقول واأسفاه على حكمتنا ، نسأل الله الكريم أن نكون نحن وإيّاكم لعلى هدىً وليس في ضلالٍ مُبين..

أيُّها السياسيون: نناشدكم الله أنْ تتذكروا أن «الحكمة يمانية» فلا تضيعونها لمجرد حالات من النزق خيمّت على عقولكم ، فالوطن لم يعدْ يحتملُ المزيدَ من سفك الدماء والإرباك والتصعيد والقلاقل، نناشدكم أن تعيدوا للحكمة ألقها كي تظل يمانية إلى حين يرثُ الله الأرض ومن عليها ، قبل أن يبلغ السيل الزبى ، ويصبح شعارنا جميعاً في المرحلة القادمة:

ربٌ يومٍ بكيتُ منه فلمّا
صرتُ في غيرهِ بكيتُ عليهِ

alshabibi2000@hotmail.com